امـرأة نـوح
وامرأة لوط

قصص النساء في القرآن

[2] قصة امرأة نوح وامرأة لوط

وقد ورد ذكرهما في قوله تعالى:{ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠} [التحريم: ١٠] وكانت خيانتهما في الدين، وليس في الفاحشة.

***

موجز القصة:

إن توجيهاتِ القرآن ترقى بالمرأةِ وتضعُهَا في مكانةٍ رفيعةٍ جدًّا، وها نحن اليوم نقف لنأخذ الدروس والعبر، من قصة امرأتين أنعم الله عليهما بنعمة عظيمة، وأكرمهما بكرم منه، فجعلهما زوجتين لنبيين عظيمين من أنبياءه، ولكن الله عز وجل ضرب بهاتين المرأتين المثل للكافرين، وهما امرأة نوح وامرأة لوط، وبعدهما ضرب مثلاً للمؤمنين بامرأتين هما: امرأة فرعون ومريم بنت عمران.

وقد ذكر الله ذلك في خواتيم سورة التحريم التي افتتحها الله تعالى أيضاً بقصة امرأتين هما:حفصة وعائشة حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدبروا روعة القرآن وبلاغته، قال الله عز وجل:{ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ} [التحريم: ١٠].

والمثل هنا يضرب للكافرين في أن مجرد مخالطتكم للمسلمين ومعاشرتكم وعيشكم بينهم، لن يجدي عنكم شيئًا فإن لم تسلموا وتؤمنوا فلن ينفعكم عند الله شيئاً، فهذا المثل ضربه الله شبهاً لكفار

مكة، وذلك أنهم استهزؤوا وقالوا: يكفينا أن محمداً صلى الله عليه وسلم مِنَّا وَبِنَا فسيشفعُ لنا؛ فبيّن الله تعالى أن شفاعته صلى الله عليه وسلم لا تنفع لكفار مكة، كما لا تنفع شفاعة نوح لامرأته وشفاعة لوط لامرأته. ويقال: فيه تخويف لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم لَيَثْبُتُنَّ على دينه وطاعته.

قال يحيى بن سلام: " وهذا مثل ضربه اللّه ليحذر به حفصة وعائشة حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ضرب لهما مثلاً بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيباً في التمسك بالطاعة "، وقال مقاتل: " يقول الله سبحانه لعائشة وحفصة: لا تكونا بمنزلة امرأة نوح وامرأة لوط في المعصية، وكونا بمنزلة امرأة فرعون ومريم ".

إذاً فلا مجاملة لأحد ولا محاباة مهما كان، فمعيار النجاة هو: الإيمان، حتى لو كان ابن نبي أو والده أو أخاه أو زوجه أو أحد أرحامه؛ فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام،لم ينفع والده بشيء؛ قال الله تعالى:{ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾} [التوبة: ١١٤].

وهذا نوح عليه السلام لما هلك قومه وفيهم ابنه يام وقيل اسمه كنعان (أخو سام وحام ويافث) الذي أعرض عن الإيمان بالله رب العالمين، فنادى نوح ربه فقال:{رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾} [هود: ٤٥ - ٤٦].

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه

وسلم قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى، وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ:"**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ** -؛ فلا مجاملة ولا محاباة حتى لأمه صلى الله عليه وسلم، فالله تعالى يقول:{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾} [التوبة: ١١٣].

وهكذا ولو كانتا امرأتي نبي الله نوح ولوطٍ، ولذا ضرب الله بهما المثل فقال:{ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ} [التحريم: ١٠]؛ أي: نبيين رسولين، هاتان المرأتان عندهما في صحبتهما ليلا ونهارًا يؤكلانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط.

قال علماؤنا حفظهم الله تعالى ورعاهم: العقيدة هي الخط الفاصل بين دعوة الأنبياء ودعوة العقلانيين والملحدين، وهي روح الإنسان؛ فالإنسان الذي لا عقيدة له لا روح له؛ فهي أعز ما يملكه الإنسان، ولذلك لما عرض المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم أن يترك دعوته ويملكوه عليهم أو يعطوه من المال ما يرضيه ونحوه فرفض؛ وقال عليه الصلاة والسلام لعمه أبو طالب:"**والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه** -؛ فعرضوا عليه أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة فنزل قول الله تعالى:{قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ} [الكافرون: ١ - ٥]؛ فالعقيدة لا تهاون فيها لأحد ولا شفاعة فيها لأحد؛

فهذا آزر أبو إبراهيم عليه السلام ما أغناه ابنه عليه السلام مع أنه أبو الأنبياء؛ بل إن إبراهيم عليه السلام تبرأ منه لما تبين له أنه عدو لله تعالى؛ قال الله تعالى:{وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ} [التوبة: ١١٤]، وهذا نوح عليه السلام لما كفر ابنه وقال الله تعالى على لسانه:{رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ} [هود: ٤٥]، قال له الله تعالى:{قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾} [هود: ٤٦]؛ فنفى الله تعالى الصلة بين نوح عليه السلام وبين ابنه الذي من صلبه لاختلاف العقيدة بينهما؛ بل إن الخلاف في العقيدة يؤدي إلى عدم توارث الابن من أبيه الكافر والعكس، أو الأب من ابنه الكافر والعكس؛ فهي أساس الحياة وما خلق الله تعالى الخلق إلا لعبادته؛ قال تعالى:{وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [الذاريات: ٥٦]؛ أي: وما أوجدت الجن والإنس إلا من أجل عبادتي، ولذلك لا يقبل الله تعالى أي شيء من العبد إذا كان مشركًا به، ولا يغفر الله تعالى أي ذنب مع الشرك؛ وذلك لأن الشرك مصادم للأصل الذي خُلق الإنسان من أجله؛ قال الله تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾} [النساء: ٤٨]. نسأل الله العظيم أن يحينا على الإسلام ويميتنا على الإيمان إنه ولي ذلك والقادر عليه.

قيل: **أن اسم امرأة نوح واعلة، واسم امرأة لوط واهلة**، وقال مقاتل: والعة ووالهة؛ ولا فائدة من معرفة الاسم، وإلا لذكر الله تعالى اسميهما {كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ} [التحريم: ١٠]؛ والتحتية هنا

مجازٌ في معنى الصيانة والعصمة،{مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ} [التحريم: ١٠]؛ وإنما خُصَّا بوصف عبدين صالحين مع أن وصف النبوة أخَصُّ من وصفِ الصلاح: تنبيهاً إلى نساءِ المسلمينَ في معاملتهن أزواجَهُنَّ الصالحين، فإن وصفَ النبوةِ قد انتهى بالنسبةِ للأمةِ الإسلاميةِ، مع ما في ذلك من تهويلِ الأذى لعبادِ اللهِ الصالحينَ، وعنايةِ ربِّهم بهم ومدافعتِه عنهم.

وقوله:{فَخَانَتَاهُمَا} [التحريم: ١٠]؛ أي: في الإيمان،لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاهما في الرسالة، بل كانتا كافرتين فلم يُجْدِ قربهما من الأنبياء شيئًا، ولا دفعَ عنهما محذورا؛ ولهذا قال:{فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} [التحريم: ١٠]؛ أي: لكفرهما، فليس المراد بقوله:{فَخَانَتَاهُمَا} [التحريم: ١٠]؛ أي: في فاحشة، بل في الدين، **فإن نساءَ الأنبياء معصوماتٌ عن الوقوع في الفاحشة؛** لحرمةِ الأنبياء.

قال الضحاك عن ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتهما في الدين، أو قال: وإنما كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تقول للناس:إنه مجنون، وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبابرة، وأما امرأة لوط فإنها كانت تدل قومه على أضيافه، فإذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف.

وقال الضحاك رحمه الله تعالى: " أن خيانتهما النميمة، فإذا أوحى اللّه تعالى إلى نبييه شيئاً أفشتاه إلى المشركين "، وقال عكرمة: " الخيانة في كل شيء ليس في الزنا فقط "؛ قال الله تعالى:{فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} [التحريم: ١٠]، جعل الله تعالى حالة هاتين المرأتين عظةً وتنبيهاً للذين كفروا، أي ليُذكرهم بأن الله لا يصرفه عن وعيده

صَارِفٌ، فلا يحسبوا أن لهم شفعاء عند الله تعالى، ولا أن مكانهم من جوار بيتِه وعمارة مسجده وسقاية حجيجه تصرف غضب الله عنهم، فإن هم أقلعوا عن هذا الحسبان أقبلوا على التدبر في النجاة من وعيده بالنظر في دلائل دعوة القرآن، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فلو كان صارف يصرف الله عن غضبه لكان أولى الأشياء بذلك مكانة هاتين المرأتين من زوجيهما رسولي رب العالمين، لكن{فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا} [التحريم: ١٠]؛ أي: لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله عن زوجتيهما لما عصتا شيئاً من عذاب اللَّه، تنبيهاً بذلك على أن العذاب يُدفع بالطاعة دون الوسيلة. فلم يمنعهما نبوة وصلاح زوجيهما مع كفرهما من الله شيئاً، بل{وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ} [التحريم: ١٠]؛ أي: قيل لهما عند موتهما أو يوم القيامة: ادخلا النار مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا صلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام.

فالعلاقة الزوجية لا تنفع شيئاً مع الكفر، وقد بَيَّن تعالى ما هو أهمُّ من ذلك في عموم القرابات؛ كقوله تعالى:{يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾} [الشعراء: ٨٨]، وقوله:{يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾} [عبس: ٣٤ - ٣٧]، وكذلك كفار مكة، وإن كانوا أرحامًا للنبي صلى الله عليه وسلم، فلا ينفعهم صلاحُ النبي وقربُه من الله وعبادتُه ومحبةُ الله له وتفضيلُ الله له على سائر خلقه، وكذلك أزواجه إذا خالفنه، وكذلك بناته وعشيرته.

ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:"يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، يَا أُمَّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ! يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ

مُحَمَّدٍ! اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنْ اللهِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمَا مِنْ اللهِ شَيْئًا، سَلَانِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا -.

وفي صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله تعالى عنها قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ:{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾} [الشعراء: ٢١٤]، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الصَّفَا فَقَالَ:"يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ -.

وفي سنن الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ:{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾} [الشعراء: ٢١٤]، جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قُرَيْشًا فَخَصَّ وَعَمَّ، فَقَالَ:"يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، يَا مَعْشَرَ بَنِي قُصَيٍّ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنْ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، إِنَّ لَكِ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا -؛ أي: سَأَصِلُهَا بالإحسان إليها؛ فالكافر يعاقب بكفره ولا يحابى بما بينه وبين نبي أو مؤمن أو صالح من النسب والرحم{كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾} [المدثر: ٣٨]، وقال صلى الله عليه وسلم :"وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ -.

ورحم الله تعالى من قال:

لَعَمْرُكَ مَا الإِنسَانُ إلا بِدِينِهِ ::: فَلا تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالاً عَلَى النَّسَبِ

لَقَدْ رَفَعَ الإِسْلامُ سَــلْمَانَ فَــارِسٍ ::: وَقَدْ وَضَعَ الشركُ النسيبَ أَبَا لَهَبِ؟

{وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ} [التحريم: ١٠]، لو قال: ادخلا النار لكفى، وإنما زاد{مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ} [التحريم: ١٠]، لإفادة مساواتهما في العذاب لغيرهما من الكفرة الخونة؛ وذلك تأييسٌ لهما من أن ينتفعا بشيء من حظوة زوجيهما.

فقصة امرأة نوح لم ترد إلا في هذه سورة التحريم، إلا أن الله أشار لهلاكها في سورة هود فقال:{ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾} [هود: ٤٠]، وقال في سورة المؤمنون:{ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾} [المؤمنون: ٢٧].

قال ابن كثير في قول الله تعالى:{إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ} [هود: ٤٠]، وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله، كابنه وزوجته، والله أعلم.

أما امرأة لوط فقد ورد ذكرها وذكر هلاكها مرارًا، وذلك في قوله تعالى:{ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ} [الأعراف: ٨٣]، قال أبو جعفر: أنجينا لوطًا وأهله المؤمنين به، إلا امرأته، فإنها كانت للوط خائنةً، وبالله كافرةً. فهي من الغابرين الهالكين، وفي سورة الحجر يقول تعالى:{ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ۖ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ} [الحجر: ٥٧ - ٦٠]، وفي سورة النمل يقول تعالى:{ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾} [النمل: ٥٧]، وفي سورة العنكبوت يقول تعالى:{قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ

لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾} [العنكبوت: ٣٢].

وفي سورة هود يقول تعالى:{قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾} [هود: ٨١].

قال ابن جرير رحمه الله تعالى في قوله تعالى:{إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡ} [هود: ٨١]؛ أي: إنه مصيبُ امرأتِك ما أصاب قومَك من العذاب، فموعدُ هلاكِهم الصبحُ، فكأنَّ لوطًا عليه السلام استبطأ ذلك منهم، فقال لهم: بل عجِّلوا لهم الهلاك! فقالوا:{أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ} [هود: ٨١]، فعند الصبح نزولُ العذاب بهم، وبين نهاية سورة التحريم وبدايتها ربطٌ وصلةٌ، حيث تحدثت عن زوجات الرسول اللائي كانت تظهر منهن بعض المشاحنات أحيانا، فكأن الله يقول: لا يغركن أنكن زوجاتٌ للرسول وبذلك تدخلنْ الجنة، كلا، فالجنة لمن أطاعت زوجها، وكيف لو كان الزوجُ رسولَ الله؟ أليس مطلوباً منكن أن تكن أكثرَ استقامة؟

وفي هذا درسٌ لنساءِ اليوم أيضًا، فكثير منهن ناشزات لأزواجهن رغم أنهن يفتخرن بأنهن زوجاتُ فلانٍ وعلانٍ، وربما أنهن صالحات يُصَلِّينَ ويفعلن الخير، لكنهن ناشزاتٌ يؤذين أزواجهن، وعلى العكس؛ فمنهن المظلوماتُ عند أزواج صالحين خيرين، لكنهم يؤذونَهن ويضيقوا عليهن، ألا فلتتقِ الله أولئك النسوة في أزواجهن، وليتق الله هؤلاء الأزواج في زوجاتهم، فما شرع الله الزواج ليظلم الزوج امرأته، ولا لتقصر المرأة في حق زوجها، وإنما من أجل السكن والمودة وإسعاد كلٍ منهما الآخر.

{ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾} [الروم: ٢١].

وهذه القصة تدلنا على: مدى الخطر الذي يتهدد الذين يأبون الانقياد لشرع الله تعالى، والذين يعبدون الشهوات، والذين يستهزئون بأنبياء الله وأوليائه الذين يدعونهم إلى الله عز وجل.

ونعلم منها: أن العاقبة للمتقين وإن كانوا قلة، ونعلم هوان الكفرة على الله تعالى ولو كانوا أكثر الناس، فقد كان قوم لوط أربعة آلاف فيما يذكرون، أو أقل أو أكثر، وقراهم كانت عامرة، وكان يمر عليها العرب.

قال تعالى:{وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [الصافات: ١٣٧ - ١٣٨]، وقال عز وجل:{ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾} [الفرقان: ٤٠]؛ فالله سبحانه وتعالى جعل عاقبة المجرمين وخيمة لنراها دائماً، وهي ليست مبنية على القلة والكثرة، بل على الأعمال والصفات والأخلاق. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعافينا، وأن يجعلنا من عباده المؤمنين، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى.....

تمت القصة بعون الله تعالى

* * *